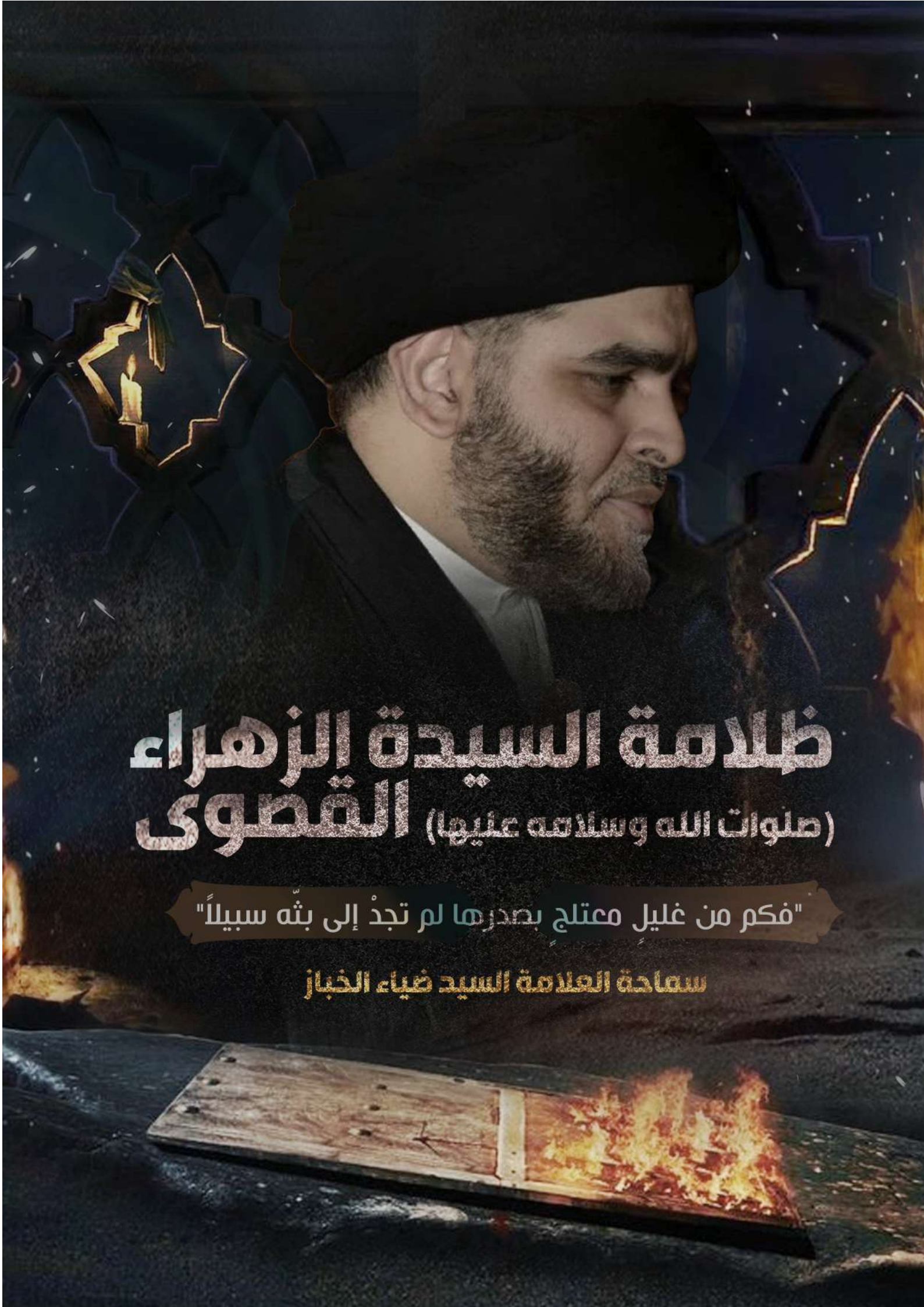
ظلامة السيدة الزهراء القصوى
(صلوات الله وسلامه عليها)
"فكم من غليلٍ معتلجٍ بصدرها لم تجدْ إلى بثّه سبيلاً"
سماحة العلامة السيد ضياء الخباز

مما جاء في تأبين أمير المؤمنين للصديقة الشهيدة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليهما) ـ وهو من أفجع ما قِيل في بيانات التأبين ـ هذا المقطع: "وستُنبئك ابنتُك بتظافر أمّتك على هضمها ، فأحفِها السؤال واستخبرْها الحَال ، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجَدْ إلى بثّه سبيلاً"[2] ، ومن وبين فقرات هذا المقطع سيقع الحديث مركزًا حول العبارة التالية: "فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجدْ إلى بثّه سبيلاً" وذلك في ثلاث جهات:

الجهة الأولى: بيان مفردات هذا العبارةً:

ليتضح لنا المقصود من هذه العبارة العلوية لا بد لنا أولًا من بيان معاني المفردات المهمة التي اشتملت عليها ، وهي ثلاث مفردات:

المفردة الأولى: كم.

مفردة "كم" في اللغة العربية على نوعين:

النوع الأول: كم الاستفهامية.

النوع الثاني: كم الخبرية.

ومعرفة أي منهما أراد أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في تأبينه المفجع يتضح لنا من خلال معرفة الفرق بينهما.

فنقول:

"كم" الاستفهامية هي أداة إنشاء يراد بها الاستفسار والاستفهام عن العدد ، ولذلك فإنها تتطلب جوابًا، ـ فمثلا ـ في القرآن الكريم يقول الحق (جلت أسماؤه): ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ﴾[3]،فلأنّ كم

1-محاضرة سماحة العلامة السيد ضياء الخباز (دامت بركاته) في الفاطمية الثانية 13 جمادى الأولى 1445هـ في مأتم بن جمعة بالكويكب بالقطيف.

2-الشيخ المجلسي، بحار الأنوار، ج 43، باب ما وقع عليها من الظلم وبكائها وحزنها وشكايتها في مرضها إلى شهادتها وغسلها ودفنها، وبيان العلة في
إخفاء دفنها صلوات الله عليها ولعنة الله على من ظلمها ، ح 21، ص 193،
(المكتبة الشيعية http://shiaonlinelibrary.com/).

3-سورة البقرة الآية 259.

في الآية الشريفة استفهامية استفهم فيها عن عدد سنوات وساعات اللبث فقد احتاجت إلى جواب ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

أما "كم" الخبرية فلا يراد بها الاستفسار عن العدد،وإنما يراد بها الإخبار عن عدد كثير، ولكونها إخبارية فهي لا تحتاج لجواب، ومثالها في القرآن الكريم قول الله (تبارك وتعالى) : ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[4]، فكم في الآية الكريمة لا يراد بها الاستفسار عن عدد الفئات القليلة التي غلبت الفئات الكبيرة ، وإنما يراد بها الإخبار عن أنّ الفئات القليلة - التي تبعت الحق - فغلبت الفئات الكثيرة ، لهي فئاتٌ كثيرةٌ جدًا.

بعد إيضاح الفرق بين معنى كم الاستفهامية والخبرية نقول: أي المعنيين أراده أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) في التأبين الفاطمي ؟ هل المعنى الاستفهامي أم الإخباري؟

لا شك هو الثاني ؛ إذ لم يكن أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في مقام الاستفهام عن عدد الغليل المعتلج في صدر الصديقة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها)، وإلا لجاء بجواب لكلامه ، وهذا يدلنا على أنّ كم الواردة في التأبين العلوي هي كم الخبرية لا الاستفهامية ، حيث يريد أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) أن يخبر عن كثرة الغليل المعتلج بصدر البضعة الطاهرة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها).

4سورة البقرة الآية 249.

المفردة الثانية: الغليل[5]:

الغليل في اللغة هو: الحرارة الباطنية الداخلية التي يشعر بها الإنسان نتيجة مثير معين، وهذه الحرارة تتنوع المثيرات التي توجدها في داخل الإنسان ً، فمنها:

الحقد: وذلك عندما لا يخلّص الإنسان نفسه من الحسد والحقد والضغينة على إخوانه المؤمنين ، فإنَّ هذه الضغينة تتحول إلى حرارة مشتعلة في داخله ، ولذلك عندما ينتقم الحاقد ممن يحقد عليه يقول: لقد شفيتُ غليلي.

العطش: فإنه عندما يستولي على الإنسان يبدأ الإنسان يشعر بحرارة باطنية، وعندما يشرب الماء يقول: لقد رويت غليلي ، ومراده من الغليلً الحرارة الناشئة عن مثير العطش.

الحزن: ولذا يقولون: (لا يشفي الغليل إلا البكاء) ، أي عندما تكون عند الإنسان حالة حزن فإنها تتسبب في حرارة داخلية يشعر بها الحزين، وهذه الحرارة لا ًتهدأ ولا تنطفئ إلاّ بالبكًاء.

إذا عرفت ذلك ، فعندما قال أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه): "فكم من غليل معتلج بصدرها" فإنّ مراده من الغليل الحرارة الناشئة عن الحزن ، ليبيّن بأنّ الصدر المقدس للصديقة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) قد كان يكتوي بحرارة باطنية داخلية سببها حزنها وألمها وهمها (روحي وأرواح من في الوًجود ًفداها).

5- ابن منظور، لسان العرب ج 10، باب الغين، ص 106: غلل: الغُلُّ والغُلّة والغَلَلُ والغَليلُ كله شدّة العطش وحرارته قلّ أو كثر رجل مَغْلول وغَليل ومُغْتَلّ بيّن الغُلّة وبعير غالّ وغَلاّنُ بالفتح عطشان شديد العطش غُلَّ يُغَلُّ غَلَلاً فهو مَغْلول على ما لم يسمَ فاعله ابن سيده غَلَّ يَغَلّ غُلّة واغْتَلّ وربما سميت حرارة الحزن والحبّ غَليلاً...إلخ. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـــ لبنان، اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبدالوهاب و محمد الصادق العبيدي، الطبعة الثالثة 1419هـ ـــ 1999م.

لماذا مفردة الغليل؟

بعد بيان معنى مفردة الغليل، قد ينقدح سؤالٌ مهمٌ في ذهن البعض وهو : إذا كان المراد من الغليل هو الحرارة الناتجة عن الحزن فلماذا لم يستخدم أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) مفردة الحزن فيقول : فكم من حزن معتلج في صدرها، بدلاً عن مفردة الغليل؟

وجواب ذلك هو : أنّ أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) عندما يختار المفردات فاختياره يخضع لحسابات دقيقة، وهنا لم يرد (صلوات الله وسلامه عليه) أن يتحدث عن مجرّد الحزن عند السيدة الزهراء (عليها الصلاة والسلام)، بل أراد بيان أنّ أحزان الشهيدة فاطمة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) قد بلغت من الشدة مبلغًا تسبب في نشوء حرارة داخلية باطنية ، وهي المعبّر عنها بالغليل ، إذ أنّ الحزن العادي لا يُوجد مثل هذه الحرارة .

والحاصل : فإنه (عليه السلام) باستخدامه لمفردة الغليل أراد بيانٍ أنّ أحزان الصديقة المظلومة (عليها السلام) قد كانت شديدةً لدرجة تسببها في وجود الغليل في صدرها المقدس (روحي وأرواح العالمين فداها).

المفردة الثالثة: الاعتلاج[6].

هذه المفردة كلمةٌ واحدةٌ و لكنها تستبطن مجموعة من المعاني المتشابكة والمتداخلة والمترابطة وهي:

---

6 الطريحي، الشيخ فخر الدين، مجمع البحرين، ج 2، باب العين، ص 1254: ع ل ج في الدعاء (وما تحويه عَوالِجُ الرمال) هِي جمع عَالِج، وهو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض،... وفي الحديث (إنّ الدُّعاءَ ليبقى البلاء فيَتَعالجان) أي يتصارعان...
وعَلِجَ عَلَجًا من باب تعب: اشتَدَّ... واعْتَلجَت الأمواجُ: إذا التطمت. والإرض: إذا طال نباتها. وفي حديث فاطمة (عليها السلام) "فكمْ من غَليل مُعْتَلج بَصَدْرها" أي كامن فيه "لم تَجِدْ إلى بَثِّهِ سَبيلا". مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى 1415هـ.

الأول: التكاثر والتراكم.
الثاني: الاضطراب.
الثالث: التلاطم والتضارب.
فلا يقال في اللغة العربية: (اعتلج الموج) إلا إذا وصلت أمـــواج البحر إلى المرحلة التي تتكاثر فيها وتتـــراكم و تضطرب وتتلاطم بعضها ببعض، وعندما يقال في اللغة العربية ـ أيضًا ـ:
(اعتلجت الهموم صدر فـلان) أو (اعتلجته الهموم) فإنّ المـــراد بذلك أنّ الهموم قد تراكمتً و تكاثرت إلى أن صار بعضها يضرب بعضها الآخر ، كما تتلاطم أمواج البحر .
وكأنّ أمير المؤمنين (صلوات الله وســـلامه عليه) حين استخدم المفردة المذكورة أراد أن يقرب لنا صورة غير محسوسة من خلال صـورة محسوسة ، أي : أنّه (عليه الصلاة والسلام) أراد أن يبين بأنّ الأحـــزانً و الهموم والمصائب التي مست الصديقة الطاهرة (عليها الصلاة والسلام) قد تراكمت وتكاثرت واضطربت وصـار بعضها يلطم البعض الآخر نتيجة الكثرة والتـــراكم ، كما تتلاطم أمواج البحر الهائجة .
الجهة الثانية: بيان دلالة العبارة .
تحمل عبارة التأبين العلوي الحزين دلالتين مهمتين وهما:
الدلالة الأولى: كثرة الأحزان والمصائب الفاطمية .
وهذه الدلالة هي ما اتضح عندنا من خلال ما ذكرناه مـــن بيان لمفـردات التأبين العلوي في الجهة الأولى ، حيث أوضحت لنا أنً أحزان وآلام ومصائب السيدة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) قـد بلغت من الكثرة حدًا كبيرًا ؛ لأنّ أمير المؤمنين (صلـــوات الله وسلامه عليه) قد استخدم مفردتين تدلان على الكثرة ، وهما:

مفردة كم الخبرية ، ومفردة الاعتلاج.

الدلالة الثانية: عدم بث الزهراء (عليها السلام) لحزنها .

تشير الدلالة الثانية إلى أنّ الشهيدة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) لم تجد سبيلا للحديث عن هذه المصائب الكثيرة التي جرت عليها.

وهذا المقطع في البيان والتأبين العلوي ـ "لم تجدْ إلى بثّه سبيلاً" ـ يبدو مقطعًا مثيرًا وملفتًا للنظر، إذ نحن نسمع بالكثير من مصائب فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) والحال أنّ أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) يقول: "فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجدْ إلى بثّه سبيلاً" أي : أنّ هذا الغليل قد بقيَ يعتلجُ في صدر الشهيدة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) ولم تصدح به.

موانع بيان الصديقة الزهراء (عليها السلام) لأحزانها:

أمام الدلالة الثانية المثيرة - وهي أنّ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)لم تجد سبيلا لبث ما اعتراها من مصائب -يعرض السؤال التالي: لماذا لم تجد الصديقة فاطمة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) سبيًلا لبثّ غليلها الذي اعتلج بصدرها المقدس؟

إنّ الأمر في ذلك يعود لوجود موانع ، منها :

المانع الأول: عظمة وشدة مصائبها (عليها السلام).

إنّ ما وقع على الصديقة الزهراء (روحي وأرواح من في الوجود فداها) قد بلغ من العظمة والشدة مبلغا ، بحيث لو أنها قد صرحت به لكذبت ؛ نظرا لأنّ ما جرى عليها من المصائب أشبه بالخيال!

وتقريب هذه الفكرة بالبيان التالي:

لو أغمض الإنسان النظر -بعيدًا عن الروايات والتاريخ والمعلومات

القبلية الموجودة في ذهنه - وجئته قائلًا له : إنّ رسول الله خـــاتم الرسل وأشرفهم وأفضلِ الكلّ في الكلّ (صلى الله عليه وآله)كـانت له عند وفاته ابنة وحيدة ، وهذه البنت الوحيدة لها مـــن المكانة ما أفصح عنه النبي (صلى الله عليه وآله) في عشرات الخطابات : فاطمة بضعة مني، فاطمة روحي التي بين جنبي، فاطمة ... فاطمة... ، ثم لم يمض على شهادة النبي الأكـــرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أيامًا معَدودات فانصبت المصائب على ابنته ، وأحرق بيتها ، وكسر ضلعها ، ولطمَ خدها ، وأسقط جنينها ، وقيدَ بعلها ، وفعـــِل بها ما فعل ، فإنه لا شك سيقول :كيف يتجاسر أَحد على فعل كلِ هذا ؟! خصوصاً وأنّه قد سمع وصايا أبيها (صلى الله عليه وآله) المكـــررة والمؤكدة في حقها ، وكيف سيجري كل ذلك بمرأى ومسمـــع من الناس ؟! إنّ ذلك أشبه بالمستحيل .

لذلك ربما وجدت الصديقة الطاهرة(روحي وأرواح العالمين فداها) أنّ عظم المصائب يحول دون التصريح بها،مخافة تكذيبها واتهامها، فامتنعت عن بيانها .

المانع الثاني: عدم وجود المتلقي .

المظلوم عندما يريد التظلم وبيان ظلامته فإنه يبحث عن شخص يبثه ظلامته ، ولكن الصديقة الزهراء (عليها السلام) لم تجد أحدًا تتظلم عنده وتبث له ظلامتها، ولعل السائل يسأل : كيف لم تجد السيدة فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) أحدًا تتظلم عنده؟

والإجابة عن هذا السؤال ليست في رواية تاريخية لتقبل المنـــاقشة ، بل قد تكفل القرآن الكريم ببيانها في آيةٍ صريحةً ، وهي قـــول اللهِ (تبارك وتعالى) : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِـــن قَبْلِه الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[7] ، وعندما نـــرجع إلَى تأبين

7 سورة آل عمران، الآية 144.

أمير المؤمنين للشهيدة الـزهراء (عليهما وآلهما الصلاة والسلام): الذي تضمن عبارة "فكم مـن غليل معتلج بصدرها لم تجدْ إلى بثّه سبيلاً" نجده قد افتتح هذه العبارة في التأبين المفجع بقوله:
"وستُنبئك ابنتُك بتظافر أمّتك" ، وأول ما يلفت النظر في كلام أمير المؤمنين هو استخدامه (صلوات الله وسلامه عليه) لمفـــردة النبأ "وستُنبئك" ، وعدم استخدامه لمفردة الخبر ليقـــول:وستخبرك ، وذلك لأنّ النبأ غير الخبر، فالنبأ[8] هـــو الخطب العظيم والجليل، وأما الخبر فيطلق على الأعم ، ولكن يا ترى ما هو هـــذا الخطب الجليل والعظيم؟! إنه ما جاء في قوله (صلوات اللهِ وسلامه عليـه): "بتظافر أمّتك على هضمها"، ولنعي هذا النبأ جيداً فإننا نسمـع من الخطباء الكرام قولهم عند قراءة المقاتل : فخرج فلان إلى المعركة وتظافروا عليه وقتلوه ، فما هو معنى التظافر؟
التظافر[9] معناه التعاون والتآزر، فأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في هذه العبارة يـــوضح أنَّ ثمَّة تعـــاوناً وتآزراً على ظلم الصديقة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) قـــد حصل حينها ،ويا له من خطب فظيع مهول ،ونظراً لـــذلك فإنها (عليها السلام) لم تجد من تبثه غليلها ؛ لأنَّ الدنيا قد اسودّت في عينيها ، بعـــد أن جرى ما جرى عليها .

---

8 الشيخ الطبرسي، تفسير مجمع البيان ج 10، ص 239: "اللغة: النبأ: الخبر العظيم الشأن"، موقع المكتبة الشيعية.
الشيخ الطوسي، التبيان، ج 10، ص 238: "والنبأ معناه الخبر العظيم الشأن كمعنى الخبر عن التوحيد في صفة الاله وصفة الرسول، والخبر عما يجوز عليه
وما لا يجوز". موقع المكتبة الشيعية. (http://shiaonlinelibrary.com/)
9 ابن منظور، لسان العرب ج 8 ، باب الظاء، ص277: "وتَظاهرُوا عليه: تعاونوا وتَظاهرُوا عليه: تعاونوا، وأَظهره الله على عَدُوِّه. وفي التنزيل العزيز: وإِن تَظاهَرَا عليه. وظاهَرَ بعضهم بعضاً: أَعانه، والتَّظاهُرُ: التعاوُن. وظاهَرَ فلان فلاناً: عاونه... وقوله: تَظاهَرُونَ عليهم؛ أَي
تَتعاونُونَ"، ص 255: "وتَظَافَرَ القومُ عَلَيْه وتظاهَرُوا بمَعْنًى وَاحد". دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، اعتنى بتصحيحها أمين مَحمد عبدالوَهاب و مَحَمّد الصادق العبيدي،
الطبعة الثالثة 1419هـ ـ 1999م.

المانع الثالث : عدم إتاحة الفـــــرصة لها (عليها الصلاة والسلام) للتصريح بظلامتها .

وهذا المانع ـ رغم غرابته وعدم امتـــــلاكنا دليلًا صـــريحاً عليه بحسب ما تفحصناه سريعاً - فـإنّ الشواهد التاريخية تقرِّبه لـــنا، ومنها:

ـ ما ورد عن إمامنا الصادق (صلوات الله وســـلامه عليه) : "وأما فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله ،فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتىً تأذى بها أهل المدينة، وقـــالوا لها : قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر مقـــــابر الشهداء ـ أي خارج المدينة ـ فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصـــرف"[10]

ـ وما رواه العلامة المجلسي (قدس الله نفسه) في البحار قائلاً : "ثمّ رجعت إلى منزلها - بعـــد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآلـــه) - وأخذت بالبُكاء والعويل ليلها ونهارها، وهـــي لا ترقأ دمعتها ، ولا تهدأ زفرتها، فاجتمع شيوخ أهل المدينة، وأقبلوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا له: يا أبا الحسن، إنّ فاطمة تبكي بالليل والنّهار، فلا أحد منّا يتهنّأ بالنّوم في الليل على فرشنا! ولا بالنّهار لـــنا قرار علي أشغالنا وطلب معايشنا! وإنّا نخبِـــــرك أن تسألها إمّا أن تبكي ليلا أو نهاراً!! فقال عليه السلام: حبّاً وكرامة. فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتّى دخـــل على فاطمة عليها السلام وهي لا تفيق من البُكاء، ولا ينفع فيها العزاء، فلمّا رأته سكنت هنيئة له. فقـــال لها: يابنت رسول الله ، إنّ شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك إمّا تبكين

10الشيخ الصدوق، أمالي الصدوق، المجلس التاسع والعشرون مجلس يوم الجمعة الثامن من المحرم سنة ثمان وستين وثلاثمائة، ح 5. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـــ لبنان، قدم له الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الأولى 1430هـ ـــ 2009م.

أباك ليلاً وإمّا نهاراً، فقـــالت: يا أبا الحسن،ما أقلّ مكثي بينهم، وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم ، فوالله لا أسكت ليـــلاً ولا نهارا أو ألحق بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال لهـــا عليّ عليه السلام: إفعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك. ثمّ إنّه عليه السلام بنى لها بيتا في البقيع، نازحا عن المدينة، يُسمّى بيت الأحزان ".[11]

والحاصل : فإنّ البكاء على رسول الله (صلى الله عليه وآله) حـــق للسيدة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) ومع ذلك لم يُتح لها ، وإذا كان عدم إتاحته ليس إلا لكونه معبِّراً عن ظلامتها ، فما بالك بالتصريح بظلامتها وما جـرى عليها ؟! لا شـك أنّه أولى بعـــدم الإتاحة .

فشواهد التاريخ تقرِّب أنها لم تُتح لها الفرصة للتصريح بظـلامتها (عليها الصلاة والسلام).

وهـــذا لعمرك أقصى الظلامة ، أن يُظلم المظلوم ، ثمّ لا تُتاح له الفرصة للتظلّم والإفصاح عمّا جرى عليه .

11الشيخ المجلسي، بحار الأنوار، ج 43، بـاب ما وقع عليها من الظلم وبكائها وحـــــزنها وشكايتها في مرضها إلى شهادتها وغسلها ودفنها، وبيان العلة في إخفاء دفنها صلوات الله عليها ولعنة الله على من ظلمها، ح 15، ص 177، (المكتبة الشيعية http://shiaonlinelibrary.com/).

الجهة الثالثة: أهمية هذه العبارة .

إنّ هــذه العبارة - التي جعلناها من بين عبارات التأبين العلــوي محور حديثنا - لها أهمية خاصة، وتأتي أهميتها للتالي:

الأمر الأول: بيانها لكثرة مصائب الزهراء (عليها السلام).

فقد دلت هــذه العبــارة المفجعة على أنّ مصائب وآلام الصــديقة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) كثيــرة ، بحيث أنّ الإمــام أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) قد استخدم دالين للدلالة على هذه الكثرة ، وهما – كما أوضحنا - مفردة كم الخبرية ومفــردة الاعتلاج .

ولــذا فإنني أقول : إنّ مقتضى ما تومئ له هذه العبارة هو أنّ ما وصلنا من مصائب الشهيدة الــزهراء (عليها الصلاة والسلام) ليس هو كل ما جرى عليها، فهناك مصائب أكثر و أكثر جــرت عليها ولكنها لم تصــل إلينا ؛ إذ انطــوت ضمن ما انطــوى في خــزانة صدرها المقدّس ، ولم يصلنا إلا ما تناقله الأئمة الطاهرون (عليهم السلام) والمؤرخون المؤتمنون .

الأمر الثاني: دفعها لشبهة عــدم تعرض الــزهراء (عليها الصلاة والسلام) لبيان ما جرى عليها .

الأهمية الثانية لعبارة التأبين العلوي تأتي من حيث كــونها تشكل أساسًا مهمًا في دفع الشبهة المثارة حول ظلامة الزهراء (روحــي وأرواح العالمين فداها)، وهي الشبهة التي طالما آثارها وأكثر مــن مداولتها وترديدها خصوم الشيعة ، وقد تسربت للأسف البالغ حتى لبعض الشيعة ، فصار يكررها كذلك ويشكك في مصائب الصديقة الطاهرة (عليها الصلاة والسلام) من منطلقها.

الشبهة:

ومفاد هذه الشبهة هو: أنّه لو كان ما جـــرى على السيدة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) بالنحو الذي يـذكره الشيعة - مـن كسر ضلعها ، ولطم خدها ، وإسقاط جنينها - صحيحًا ، لتعـرضت له السيدة الزهراء (صلـوات الله وسـلامه عليها) في خطبتيها أو في واحدة منهما ، فـإنها (صلوات الله وسـلامه عليها) قـد أدلت بخطبتيّن مهمتين مفصلتين بعد وفـاة رسـول الله (صلى الله عليه وآله) ، الأولى في مسجد الرسول الأكـرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في جمع من المهاجرين والأنصار ، والثانية عنـدما دخلن عليها نساء المهاجرين والأنصار لعيادتها في مرضها الأخـير ، وقد تعرضت (عليها الصلاة والسلام) فيهما لكثير من الأحداث، ولكنها (عليها السلام) لم تتعرض لذكر شيء مما جرى عليها بالنحو الذي تذكره الشيعة ، فلو كان ما ينقله الشيعة صحيحًا لكانت الصـديقة الشهيدة (عليها الصلاة والسلام) قد تظلمت لـذلك في خطبتيها أو في إحداهما على أقلّ تقدير ، وهذا يدلنا على عدم وقـوعه وعدم صحته إذا لوقع لصرحت به السيدة الزهراء (عليها السلام) .

الجواب:

وجوابنا عن هذه الشبهة ينبني على أمرين:

الأمر الأول:

أنّ السيدة فاطمة الزهراء (صلـوات الله وسلامه عليها) في خطبتيها قد اختارت أن تورد فيهما ظلامتين فقط من بين ظلامتها المتعددة، وهما: مصادرة أرض فدك وظلم أمير المؤمنين (عليه السلام) .

الأمر الثاني:

إنّ العبارة العلوية - التي هي محور كلامنا ، والتي قدمنا أنها تشكل الأساس لرد هذه الشبهة - تدلنا على كثرة ما جرى على الصديقة الزهراء (روحي فداها) من المصائب ، وقد استخدم أمير المؤمنين (عليه السلام) – كما تقدم - كلمتين للدلالة على كثرة ما جرى عليها من المحن ، وصرّح بأنّ هذه المصائب الكبيرة الكثيرة لم تجد الصديقة الطاهرة (عليها الصلاة والسلام) إلى بثها سبيلا .

ولا يقال : إنّ المصائب المذكورة يراد بها مصادرة أرضٍ فدك ، فإنّ ذلك مما وجدت الزهراء (عليه السلام) إلى بثه سبيلا، كما لا يقال :بأنّ هذه المصائب هي ظلامة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) ، فإنّ هذا الأمرٍ أيضاً مما وجدت الزهراء (عليها الصلاة والسلام) إلى بثه سبيلا .

وعليه ، فإذا كانت هاتان الظلامتان مما وجدت الصديقة الشهيدة (صلوات الله وسلامه عليها) إلى بثه سبيلا، فإنّ المعني حتماً لأمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) من عبارته التأبينية المذكورة غيرهما من المصائب والظلامات التي لم تجد إلى بثها سبيلا.

ولذلك أقول لصاحب الشبهة : إنّ قولك - بأنّ عدم تصريح السيدة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها) بهذه المصائب الكبيرة الكثيرة دليل على عدم وقوعها - مردودٌ، لأنّ عدم تصريح الصديقة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) بها ليس لعدم وقوعها ، وإنما هو لأنها "لم تجدْ إلى بثّه سبيلا" ، كما صرّح بذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فبقيت تلك الظلامات والمصائب والأحزان

حبيسة صدرها المقدس (صلوات الله وسلامه عليها) تعتلج فيه كما تعتلج أمواج البحر .

سؤال مؤلمٌ في نهاية المطاف :

ولنا في الختام أن نتساءل: ماذا صنعت هذه الهموم والمصائب التي كانت تعتلج ـ أي: تتكاثر وتضطرب وتتلاطم ويضرب بعضها بعضًا ـ بمولاتنا الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها)؟

يجيبنا عن ذلك إمامنا الصادق جعفر بن محمد (صلوات الله وسلامه عليهما) حيث يقول (عليه الصلاة والسلام) : "....فلما قبض ـ أي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونالها من القوم ما نالها، لزمت الفراش ، ونحل جسمها، وذاب لحمها، وصارت كالخيال..." [12]

فسلام الله (تبارك وتعالى) على الصديقة الشهيدة (صلواتٍ الله وسلامه عليها) يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث شهيدةً على هذه الأمة ،ولعنة الله والملائكة والناس أجمعين على ظالمي آل محمد وغاصبيهم إلى قيام يوم الدّين.

---

12 الشيخ المجلسي، بحار الأنوار، ج 78، باب تشييع الجنازة وسننه وآدابه، ح 40، ص 282، (المكتبة الشيعية http://shiaonlinelibrary.com/).